

## الفصل العاشر

### بقية حروب الردة

البحرين - عمان ومهرة - اليمن - كندة وحضرموت

قضى خالد بن الوليد على المرتدين في بني أسد وبني تميم وفي ربوع اليمامة ، الربوع التي عادت إلى الإسلام ، وأعاد من بقي حياً من هذه القبائل إلى حبي الدين القيم . ومنازل هذه القبائل تمتد من الشمال الشرق لبلاد العرب حتى تتأخم خليج فارس في شرقها ، وهي تقع لذلك إلى شمال المدينة من الشرق ، ثم تنحدر حتى الجنوب الشرق من مكة . وقد فسح عودها إلى الإسلام رقعة الدولة التي تدين بالولاء لأبي بكر ، والتي كانت حين الردة مقصورة على مثلث من الأرض رأسه المدينة وقاعدته بين مكة والطائف .

ولم تكن ثورة القبائل النازلة إلى شمال المدينة بذات خطر تخشى آثاره . فلم يتحدث المؤرخون عن إصرار أهلها على الردة وقتالهم بسببها ما تحدثوا عن بني أسد أو عن اليمامة ، ليس يستثنى من ذلك إلا دومة الجندل وعلى رأسها أكيدر الكندي ؛ فقد أصرت دومة وقاتلت حتى أخضعها ابن الوليد وأسر أكيدر وفرغ منه ؛ وكان إخضاعه إياها في أثناء فتحه العراق . أما في الجنوب فقد بقيت الثورة على أبي بكر والردة عن الإسلام مشبوبيتين ، وبقى القتال ناشباً بسببها بين جيوش المسلمين وأهل هذا الجنوب زمنًا غير مديد . وإذا قلت الجنوب قلت النصف من بلاد العرب ، والنصف الذي لا يستهان به . وهذا النصف يشاطئ خليج فارس فخليج عدن فالبحر الأحمر إلى شمال اليمن ، وتقع فيه ممالك البحرين فعُمان فهرة فحضرموت فكندة فاليمن . وأنت لا تستطيع أن تتخطى هذه الممالك من الشرق إلى الغرب أو من الغرب إلى الشرق إلا أن تخترقها جميعاً . فكلها تقع تباعاً على شاطئ الخليجين والبحر الأحمر . وكلها ، فيما خلا اليمن ، قليلة العرض ، فما بين حدودها والشاطئ أميال معدودة . أما سائر الجنوب من شبه الجزيرة مما تحيط به هذه الممالك وتفصله

عن الماء فبادية الدهناء ، هذه الصحراء المخوفة يوم ذاك ، والمخوفة إلى يومنا الحاضر ، والتي يطلق عليها اليوم اسم الربع الخالي .

أما وذلك موقع هذه البلاد فمن اليسير أن تدرك ما كان بينها وبين فارس من اتصال ، وما كان بينها وبين الشمال من بلاد العرب من شقة لا يسهل قطعها . فاجتياز الدهناء لم يكن ممكناً . والمحجىء من الحجاز إلى عمان أو كندة أو حضرموت كان يقتضى السير إليها من بلاد البحرين شرقاً أو من اليمن غرباً . هذا الموقع الجغرافى لتلك البلاد جعل لبلاط كسرى من الصلة بها ، بل من السلطان فيها ، ما لم يكن له غيرها من بلاد العرب .

سلطان فارس  
في البلاد الثائرة

أشرنا في غير موضع إلى أن اليمن ظلت في سلطان فارس إلى أن دخل بدهان في الإسلام ، وصار عامل النبي عاينه السلام على اليمن بعد أن كان عامل كسرى عليها . وكان سلطان فارس أكثر رضوحاً في البحرين وعمان . وكان من أبناء فارس عدد عظيم استوطن البحرين وعمان وعلت كلمته بين أهليهما . وكانت فارس تمد أبناءها هؤلاء بنفوذها وبقواتها كلما خشيت ثورة العرب الخلص بهم ، أو محاولة هؤلاء العرب القضاء على سلطانها في ربوعهم . ليس عجيباً إذن أن تكون هذه البلاد آخر من دان بالإسلام على عهد رسول الله في عام الوفود ، وأن تكون أول من ارتد حين قبض ، ثم تكون آخر من يعود إلى الإسلام بعد حروب طاحنة تنخم حروب الردة وتعيد إلى البلاد العربية ، وحدتها الدينية وتقيم فيها الوحدة السياسية .

وقد اختلفت الروايات متى كانت حروب الردة في هذه الأنحاء : أكانت في السنة الحادية عشرة للهجرة كما كان ما سبقتها من تلك الحروب ، أم كانت في السنة الثانية عشرة . ولا غناء في الوقوف عند هذا الخلاف ؛ فالثابت أن حروب الردة اتصلت منذ بيعة أبي بكر إلى أن انتهت بلاد العرب كلها بالإذعان ، وأن بلاد الجنوب شاركت من بعد في تنفيذ سياسة أبي بكر ، قوية الإيمان صادقة العزم في الجهاد ، حريصة على الظفر والاستشهاد حرص السابقين الأولين من أصحاب رسول الله .

لا مفر ، وموقع البلاد الجغرافى ما رأيت ، أن يبدأ المسلمون للقضاء على الردة

فيها بالسير من البحرين إلى عمان فهرة حتى اليمن ، أو من اليمن إلى كندة فحضر موت حتى البحرين . وقد آثروا أن يبدءوا بالبحرين ، لأنها كانت تجاور اليمامة ، فكان انتصارهم في موقعة عقرباء ذا أثر فيها . ثم إنها كانت أيسر من اليمن أمراً ، فكان البدء بها أدنى إلى فوز يجر وراءه فوزاً مثله في جميع البلاد التي تجاورها .

• • •

تتلك المرتدين  
بالبحرين

مع ذلك لم يكن المحجود الذي بذله المسلمون للقضاء على الردة بالبحرين يسيراً . والبحرين شقّة ضيقة من الأرض تشاطى مع هَجْر خليج فارس ، وتمتد من القطيف إلى عمان . والصحراء في بعض أنحاءها تكاد تتصل بماء الخليج ، وهي تتصل باليمامة في جزئها الأعلى . لا يفصل بينهما إلا سلسلة من التلال يُهَوَّنُ انخفاضها اجتيازها . وكان بنو بكر وبنو عبد القيس من قبائل ربيعة يقيمون بالبحرين وهَجْر وكان يقيم بهم معهم جماعة من التجار جاءوا من الهند وفارس وتوطنوا الثغور من مصب الفُرات إلى عدن . وقد تزواج هؤلاء مع أبناء البلاد فاستولدوا بها طائفة ذعيت الأبناء . وكان ملكُ هذه الأنحاء ، المنذر بن ساوى العبدى ، نصرانياً دان بالإسلام حين دعاه إليه العلاء بن الحضرمي رسول النبي إلى أهل البحرين في السنة التاسعة من الهجرة . وقد ظل المنذر ملكاً على قومه بعد إسلامه ، فكان يدعوهم إلى دين الله كما كان يدعوهم إليه الجارود بن المُعلّى العبدى . وكان الجارود قدِم على النبي بالمدينة فأسلم وفقه الدين ، وعاد إلى قومه يدعوهم إلى دين الحق ويفقههم فيه .

بدء الردة في  
البحرين

مات المنذر بن ساوى في الشهر الذي مات فيه النبي ، فارتد أهل البحرين جميعاً عن الإسلام ، كما ارتد غيرهم من سائر أنحاء شبه الجزيرة . وأدت ردتهم إلى فرار العلاء بن الحضرمي من البحرين ، كما فر غيره من رسل النبي في البلاد التي ارتدت . لكن الجارود العبدى أصر على إسلامه ، وقام في قومه بنى عبد القيس يسألهم عن سبب ردتهم . قالوا : لو كان محمد نبياً لما مات . فقال لهم : تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى ، فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا . قال الجارود : إن محمداً صلى الله عليه وسلم مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، الصديق أبو بكر

وأن محمداً عبده ورسوله . فشهد قومه كشهادته وعادوا إلى إسلامهم وثبتوا عليه .

لم يثن رجوع بنى عبد القيس إلى الإسلام سائر أهل البحرين عن ردتهم ، بل اجتمع الذين أصروا على الردة بزعامة الحطّمْ بن ضُبَيْعَة أخى بنى قيس بن ثعلبة ، فردوا الملك في آل المنذر ، وملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يسمى الغرور . ثم إنهم حاولوا أن يصرفوا الجارود والذين معه عن إسلامهم فذهبت محاولتهم سدى . عند ذلك خرج الحطّمْ حتى نزل القطيف وهجر واستغوى من بهما من الأبناء ، كما ضم إليه من لم يكن دخل في الإسلام من قبل ، وحاصر الجارود ومن معه في ناحية جِوَاثَى ، مؤيداً من فارس وبلاطها . ولقد ألح عليهم في الحصار حتى اشتد عليهم الجوع وكادوا يهلكون . مع هذا لم يرجع عن إسلامه منهم أحد ، وهانت عليهم الحياة في سبيل دينهم الحق .

وفيما هم كذلك كان أبو بكر قد رد العلاء بن الحضرمي إلى البحرين على رأس لواء من الألوية الإحدى عشر لقتال المرتدين فيها . ولم يذهب العلاء إليها حتى كان خالد بن الوليد قد قضى على مسيلمة وأتباعه . لذلك أسرع من عاد إلى الإسلام من بنى حنيفة ينضمون إلى العلاء حين مر باليمامة . لحق به ثُمَامَة ابن أثال في المسلمين من قومه ، وقيس بن عاصم المينقرى كذلك ، كما جاء كثير من أهل اليمن ون سائر القبائل التي شعرت بقوة المسلمين وبأن سلطانهم لا محالة عائد كما كان . ولا عجب ! فذلك شأن الناس في كل أمة وعصر ، يتبعون القوة لأنهم يحسبون أن الحق يدعمها كما تدعمه ، ويرون أنها لا تستطيع أن تقوم وحدها إذا كان أساسها الجور والظلم . ولقد كان قيس بن عاصم ، قبل أن ينضم مع قومه إلى العلاء ، فيمن منعوا الزكاة وردوا الصدقات إلى الناس . فلما مر العلاء باليمامة بعد انتصار خالد ، عاد قيس فجمع الصدقات وساقها إليه ، ونزع عن الأمر الذي كان همّ به وخرج معه إلى قتال أهل البحرين .

وانحدر العلاء بمن معه من الجند ، وسلّك بهم مفاوز الدهناء إلى غايته . فلما جن الليل أمر الناس بالنزول حتى لا يضلوا في تيه الصحراء . فلما نزلوا

أبو بكر يرد  
العلاء بن الحضرمي  
لحاربة المرتدين  
بالبحرين

قصة الدهناء  
آية الله فيها

فرت لإبلهم وتفرقت في الصحراء بما عليها من الزاد والماء ، ولم يجد الجند ما يقتاتون منه أو يطفئون به ظمأهم . هنالك ركبهم من الهم ما ركبهم ، وأيقنوا الموت ، فأوصى بعضهم إلى بعض . وتحديث لإبلهم العلاء فقال : « ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم !! » . وأجاب الناس : « كيف نلآم ونحن إن بلغنا غداً لم تحمّ شمس حتى نصير حديثاً ! » . ورد عليهم العلاء ممتلئ القلب إيماناً يقول : « أيها الناس ، لا تُراعوا ! ألسم مسلمين ! ألسم في سبيل الله ! ألسم أنصار الله ! » . قالوا : « بلى ! قال : « فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم ! » .

وهنا تجرى الرواية بأنهم بعد أن صلوا الفجر نصّبوا في الدعاء ، حتى إذا بزغت الشمس لمع لهم سراب ثم آخر ثم ثالث قال رائدهم : إنه الماء ؛ فشوا حتى نزلوا عليه فشربوا واغتسلوا ونالوا منه ما شاءوا . وتعالى النهار ، فإذا لإبلهم تعود لإبلهم من كل صوب وتبرك ؛ فقام كل رجل إلى رحله فركبه . ثم إن أبا هريرة وصاحباً له من أهدى العرب بهذه البلاد كراً راجعين إلى المكان الذي كان به الماء فإذا هو لا غدير به ولا أثر للماء فيه . وقال الذي له علم بهذه الأنحاء إنه يعرف هذا المكان وإنه لم ير به ماء ناعماً قبل اليوم . ومن ثم قيل إنما كان ذلك من آيات الله . وإن الماء إنما كان مناً من الله .

ويبدى بعض المستشرقين الشك في هذه الرواية . وسواء أكان لهذا الشك موضع أم لم يكن ، فقد ارتحل العلاء وجيشه لإبلهم وتابعوا السير حتى بلغوا البحرين . وأرسل العلاء إلى الجارود يشد من عزيمته وعزيمة من معه ، ووقف هو من الحطّمْ موقف المتأهب للقتال . ولكنه رأى المرتدين في عدد وعدة يجعلان المواجهة والهجوم عسيرين ؛ لذلك خندق المسلمون وخندق المرتدون ، وجعلوا يترأحون القتال ثم يرجعون إلى خنادقهم . وأقاموا كذلك شهراً لا يدري أيهم ما يكون المصير . وإنهم لذلك إذ لاحت للمسلمين ذات ليلة فرصة غنموها ، فكانت القاضية على خصومهم قضاء حاسماً .

ذلك أنهم سمعوا في عسكر المشركين ضوضاء شديدة كأنها ضوضاء هزيمة أو قتال . فبعث العلاء من قص له الخبر ، وعرف أن القوم أمعنوا تلك اللئالة

كيف قص  
المسلمون على  
خصومهم

في الشراب ، وأنهم سكارى لا يملك أحدهم دفعاً عن نفسه . عند ذلك خرج المسلمون من خنادقهم واقتحموا عليهم عسكريهم ووضعوا السيوف فيهم ، وجعلوا يقتلون منهم كل من أصابوا . وفرّ المرتدون هرباً ، فإذا هم بين مترد في الخندق ، ودهيش مقتول ، ومأسور ، وناج لا يعرف لنفسه مستقراً . ومرّ قيس بن عاصم على الحطّم ملقى على الأرض فقتله . وأسر عفيف بن المنذر الغرور ، فقال له العلاء : أنت غررت هؤلاء ! فأسلم الغرور وهو يقول : إني لست بالغرور ، ولكني المغرور ! وعفا العلاء عنه .

وفرّ الذين نجوا من الموت أو الأسر ، وركبوا الشراع إلى جزيرة دارين ، فتركهم العلاء بها ريثما جاءت الكتب تنبئه بأن من بقي بالبحرين من القبائل قد فاعوا إلى أمر الله . وكان جيشه قد ازداد عدده بمن انضم إليه من أهل البلاد ومن الأبناء الذين بها . عند ذلك أمر الناس بالذهاب إلى دارين حتى لا يُبقي لمرتد في الأرض ملجأ .

ودارين جزيرة من جزر الخليج الفارسي . تواجه البحرين . كان بها أديار خمسة لخمس شعب من النصارى . وتجرى الرواية بأن العلاء لما أمر المسلمين بالذهاب إليها لم يكن لديهم سفن يركبون البحر عليها ، فنهض فيهم فقال : « قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر ؛ فانهبوا إلى عدوكم . ثم استعرضوا البحر إليهم فإن الله قد جمعهم » . وأجابه قومه : « نفعل ، ولا نهاب بعد الدهناء والله هولاً ما بقينا ! » وارتحلوا ، حتى إذا أتوا ساحل البحر اقتحموا على الخليل والبيغال والحمبر والجمال ودعوا الله ، فاجتازوا البوغاز يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أحفاف الإبل . أفكان ذلك ساعة جزر الخليج الفارسي ، أم في الرواية مبالغه وأن الأبناء الذين انضموا إلى المسلمين أعاروهم سفناً عبروا البحر عليها ؟ لم تجر الرواية بهذا التصوير الأخير وإن كان في رأى بعض المؤرخين محتملاً . وأياً ما يكن الأمر . فقد بلغ المسلمون دارين والتقوا فيها بالفارين فقاتلوهم أشد القتال ، حتى أتوا عليهم لم يتركوا منهم مخبراً ، وسبوا الدراري وساقوا الأموال التي بلغت كثرتها حدّاً جعل نقلَ

اقتحام البحر إلى دارين والقضاء على الردة فيها

الفارس ستة آلاف والراجل ألفين (١) .

وعاد العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وعاد الناس معه إلا من أحب المقام . وكتب العلاء إلى أبي بكر بنصره ، وأقام بالبحرين وقد قضى على الردة فيها . من ثم لم يكن يخشى شيئاً إلا غارة قبائل البادية التي ألفت الغزو للسلب . ودسائس الفرس الذين تقلص نفوذهم في جنوب شبه الجزيرة . على أنه كان مطمئناً من هذه الناحية إذ انضم إليه قبل ذهابه إلى دارين من قبائل البحرين ومن الأبناء من كفوه بثوثة ما يخشى . وكان عتيبة بن النّهاس والمثنى ابن حارثة الشيباني على رأس المنضمين إليه . وقد قعدوا بكل طريق للمنهزمين والذين يعيشون في الأرض فساداً . بل لقد تابع المثنى السير على شاطئ الخليج الفارسي يقاوم دسائس الفرس ويقضي على أنصارهم من القبائل ومن الأبناء حتى بلغ مصب الفرات ، فكان لبلوغه هذا المصب والاتصاله بأرض العراق ولدعوته إلى الإسلام هناك أثر لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنه كان المقدمة لفتح العراق .

° ° °

لسنا نسبق الحوادث بالكلام عن هذا الفتح . وما لنا نفعل وعمان تجاور البحرين ، وشأن الردة فيها ليس أقل استغلاظاً منه في غيرها ! فلنتابع جيوش المسلمين إليها حتى تثوب وتنيب هي كذلك .

وكانت عمان على عهد النبي تابعة لفارس ، وكان جيفر أميراً عليها ، وقد بعث النبي إليه عمرو بن العاص يدعوه إلى الإسلام . ولما أبدى جيفر مخافته أن يتمرد قومه على الزكاة يدفعونها إلى المدينة ، اتفق عمرو معه على أن تقسم بين فقراء بلاده . وأقام عمرو بين القوم ، حتى إذا ارتدوا إثر وفاة النبي فرّ عائداً إلى المدينة ، وفر جيفر إلى الجبال فاعتصم بها .

وكان قائد الثورة بالردة في عمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي . وقد ادعى من النبوة ما ادعى غيره . وكان أبو بكر قد وجه حذيفة بن محصن

( ١ ) تجرى رواية أخرى بأن العلاء لم يذهب بالمسلمين إلى دارين في هذه الحرب ، وأن دارين بقيت في عزلتها لم تعد إلى الإسلام وإلى حكومة شبه الجزيرة إلا في عهد عمر بن الخطاب .

المثنى يستبصر  
الأرض ويصل  
إلى العراق

قتال المرتدين  
في عمان

الغلفاني من حمير إلى عمان ووجه عرفجة بن هرثمة البارقي من الأزدي إلى مهرة .  
وأمرهما أن يسيرا معاً وأن يبدعا بعمان فتكون القيادة فيها لحذيفة ، وأن يُثنيَا  
بمهرة فتكون القيادة فيها لعرفجة .

وأنت تذكر أن عكرمة بن أبي جهل كانت وجهته اليمامة . وأنه لم ينتظر  
شُرْحِبِيل بن حسنة يعاونه . بل أسرع بلقاء مسيلمة ليعود بفخار النصر  
فردّه مسيلمة هزيمياً . وأنت تذكر كذلك أن أبا بكر أبي علي عكرمة أن يعود  
إلى المدينة . وأمره أن يلحق بعمان يعين حذيفة وعرفجة على أهلها . وقد أبلغ  
أبو بكر هذا الأمر إلى هذين القائدين ، وعهد إليهما أن ينتهيا إلى رأى عكرمة .  
وأسرع عكرمة فأدرك القائدين قبل أن يبلغا عمان ، وتشاور وإياهما ، فراسلوا  
جيفراً وأخاه عبّاداً<sup>(١)</sup> حيث كانا معتصمين ، وطلبوا إليهما أن ينضما مع  
أصحابهما إليهم .

كيف حالف  
المسلمين النصر  
في عمان

وبلغ لقيطاً مجيء المسلمين فجمع جموعه وعسكر بدبا . وخرج جيفر  
وعباد ومن معهما إلى صحار وبعثا إلى عكرمة وصاحبيه فقدموا عليهم بها . واتفق  
الجيشان بدبا في معركة حامية الوطيس كاد الظفر يتوج فيها لقيطاً وأصحابه .  
وإنهم لكذلك . وإن المسلمين ليضطربون ويتمشى الخلل في صفوفهم ، إذ  
أقبل عليهم مدد عظيم من بني عبد القيس ومن غيرهم من قبائل البحرين حمى  
ظهرهم وشد أزهرهم وضاعف قوتهم ودفعهم يهاجمون لقيطاً ومن معه ويركبونهم  
ويقتلون منهم عشرة آلاف ، ويسبون نساءهم وأبناءهم . ويقتسمون بينهم  
أموالهم . بذلك تمت كلمة ربك في عمان ، واستقر للمسلمين فيها الأمر .

وأقام حذيفة بعمان يوطئ الأمور ويسكن الناس . وسار عرفجة إلى المدينة  
يسوق خمّس الغنائم إلى أبي بكر . أما عكرمة ففضى في جيشه إلى مهرة ليرد  
الأمر فيها إلى نصابه ، وليعيد إليها كلمة الإسلام .

\* \* \*

ترك عكرمة حذيفة بعمان أقصى الشرق من جنوب شبه الجزيرة ، وسار  
غرباً إلى مهرة حيث ارتد الناس . سار في جيشه لخب تضاعف عدده بانضمام

قتال المرتدين  
في مهرة

(١) في الكامل لابن الأثير : « عياد » .

رجال القبائل التي عادت إلى الإسلام بعد أن بهزهم نصره . وبلغ مهرة فألني جمعين مختلفين يدعوا كل منهما الآخر أن يذعن لرياسته . وقد اختار عكرمة أضعف الجمعين وأقلهما عدداً ، فدعاهم للرجوع إلى الإسلام فأسرعوا إلى دعوته . وخرج عكرمة في جيشه وفيمن رجع إلى الحق من أهل مهرة ، فلقوا بالجمع الآخر واقتتلوا أشد من قتال دبا ، وانتصر المسلمون فقتلوا وأسروا وغنموا ؛ وكان فيما غنموا ألفا نجبية . وبعث عكرمة الخمس إلى أبي بكر مع رئيس الجمع الذي حالفه ، ثم أقام زمناً لتسكين الناس . فلما سكنوا واطمأن الأمن وعاد النظام ، خرج في جيشه الذي ازداد كرامة أخرى أضعافاً مضاعفة بمن انضم إليه من أهل مهرة ، وسار يلقي المهاجر بن أبي أمية المخزومي تنفيذاً لأمر الخليفة حتى يتعاون معه على رد الأمر إلى الإسلام في اليمن وفي حضرموت .

° \* °

تري أيسر عكرمة من مهرة إلى حضرموت وكندة ؟ ذلك أدنى إلى التصور . فحضرموت تجاور مهرة وتناخمها . لكن المهاجر بن أبي أمية كان ينحدر من الشمال إلى اليمن ؛ فلم يكن لعكرمة بدٌّ من أن يسرع ليلقاه بها . هذا إلى أن ثورة اليمن كان قد طال مداها واستفحل أمرها ، فالإسراع بالقضاء عليها يهون القضاء على من يقبلكندة وحضرموت من المرتدين .

قتال المرتدين  
في اليمن

وقد تحدثنا فيما سلف عن ثورة الأسود العنسي في اليمن ، وعن ادعائه النبوة وخروجه إلى صنعاء ، وعن انتشار أمره كالخريق حتى بلغ مكة والطائف ، ثم عن قتله غيلة في مؤامرة اشتركت فيها زوجه آزاد التي كانت قبله تحت شهر بن باذان ملك صنعاء . وقد جرت الروايات بأن قتل الأسود انتهى إلى المدينة يوم مات النبي ، فأقام أبو بكر فيروز حاكماً لليمن . لكن ذبوع النبا بموت النبي بعد قليل أعاد الثورة فيها أشد مما كانت ، وتضافرت عوامل كثيرة زادت هذه الثورة ضراماً واستعاراً .

العوامل التي أدت  
إلى اشتداد الثورة  
في اليمن

العامل الأول:  
تفرق السلطة

أول هذه العوامل تفرق السلطة في هذه الأنحاء تفرقاً أضعفها ، فذمات باذان وزعت السلطة في اليمن بين ابنه شهر بصنعاء وجماعة من المسلمين

بنجران وهمدان وغيرهما ، فكان ذلك مما شجع العنسي على الانتقاض والثورة . وكان الأمر في شمال اليمن إلى مكة كأمر اليمن في تفرق السلطة ، فكان لتهامة مما يحاذى البحر حاكم ، وللداخل في مختلف القبائل حكام متفرقون . وكان طبيعياً بعد أن أخفقت ثورة الأسود أن يحاول كل واحد من هؤلاء الحكام العود إلى إمارته واسترداد السلطان فيها ، وأن يقاتل في سبيل ذلك ما أطاق القتال . وكان طبيعياً كذلك ألا يهدأ أنصار الأسود العنسي وأن يعملوا جهدهم ليثيروا الأرض ، لعل الأمر يعود إليهم كما كان للأسود . أما وقد مات النبي وانتشرت في بلاد العرب كلها فكرة الردة ، وصح لكل قبيلة ولكل فخذ من قبيلة أن يطمع في استقلاله القديم ، فقد بلغ الاضطراب غايته في اليمن وما حولها من البلاد التي كانت مسرحاً لنشاط العنسي وأنصاره .

والذي حدث أن هؤلاء الأنصار لم تهدأ بموت العنسي ثائرتهم ، بل جعل فرسانهم يجوبون البلاد فيما بين نجران وصنعاء ، لا يأوون إلى أحد ، ولا يأوى إليهم أحد . وكان عمرو بن معدى كَرِب البطل الشاعر صاحب الصمصامة ممن انتهزوا هذه الفرصة ، فحاول اقتناص السلطان من طريق الثورة . كما حاول اقتناصه أيام العنسي بالانضمام إليه . وقام قيس بن عبد يغوث من ناحيته . وكان على رأس من ائتمروا بقتل العنسي ، فطرد فيروز عن الملك وطرد معه داذويه . بذلك عم الاضطراب ، وتعذر رد السكينة والأمن إلى هذه الأرجاء .

نشاط ثوار اليمن  
بعد مقتل العنسي

كيف السبيل إلى معالجة هذه الحال ؟! إن أول ما يجب عمله تأمين الطريق بين المدينة واليمن . وقد قامت قبائل عكّ وبعض الأشعرين على هذا الطريق الذي يساحل البحر فقطعوه مستعينين بمن انضم إليهم من الأوزاع . وأقرب مدن المسلمين إلى هذا الطريق الطائف . لذلك كتب حاكمها الظاهر ابن أبي هالة إلى أبي بكر ، وسار إليهم في جند قوى ، واصطحب معه مسروقاً الكلبي ؛ فلما لقيهم أكثر القتل فيهم . حتى قيل إن الطريق تعطل بجثثهم . وكتب أبو بكر إلى الظاهر قبل أن يأتيه نبأ هذا الفتح يشجعه ومن معه على القتال

ويأمرهم أن يقيموا بالأعقاب<sup>(١)</sup> ، حتى يأمن طريق الأخابث . ومن يومئذ سميت جموع عكّ هذه جموع الأخابث ، وظل هذا الطريق يسمى طريق الأخابث زمناً طويلاً .

العامل الثاني:  
الخلاف في الجنس

أما العامل الثاني الذي زاد الثورة في اليمن استعماراً فالخلاف في الجنس . فقد أقام أبو بكر فيروز على صنعاء مقام شهر حين قتل ذو الحمار ، وكان شركاء فيروز في المؤامرة بقتل الأسود داؤويه الذي كان وزيراً معه لشهر ، وجششس صاحبهما ، وقيس بن عبد يغوث قائد الجند ، وكان فيروز وجششس من الفرس ، وكان قيس عربياً من حمير اليمن ، لذلك نفس قيس على فيروز أن أسند أبو بكر إليه الأمر من دونه وعزم قتله .

لكنه رأى حين أنعم النظر أن قتل فيروز قمين أن يجر إلى فتنة يقاومه فيها الأبناء جميعاً . والأبناء هم طائفة الفرس التي استقرت باليمن منذ حكمها الأكاسرة . وقد كبرت هذه الطائفة وعلت مكانتها أن كان الحكام منها . فإذا لم يستنفر قيس عرب اليمن جميعاً للقضاء على الفرس جميعاً كان حريماً أن يصيبه ما أصاب الأسود من الإخفاق ، وأن يفقد حياته كما فقد الأسود حياته .

قيس بن عبد يغوث  
يريد اليمن لعرب  
اليمن

لذلك كتب إلى ذي الكلاع الحميري وأضربه من زعماء العرب باليمن يقول : « إن الأبناء نزع في بلادكم ، فضلاء فيكم ، وإن تركوهم لن يزلوا عليكم . وقد أرى من الرأي أن أقتل رعوسهم وأن أخرجهم من بلادنا فتبرعوا » . لكن ذا الكلاع وأصحابه لم يمالئوه ولم ينصروا الأبناء . بل اعتزلوا وأبلغوا قيساً يقولون : « لسنا من هذا في شيء . أنت صاحبهم وهم أصحابك » . ولعلهم كانوا يمالئون قيساً وينصرونه على الأبناء لولا أنهم رأوا أبا بكر والمسلمين يمالئون هؤلاء ويكفون الأمر إليهم ، ورأوا الأبناء يحتفظون بإسلامهم وبالولاء لأبي بكر وسُلطان المدينة . ما لهم إذن والخلاف لا يدرى أحد ما تكون نتائجه ، وبخاصة بعد أن سرت الردة في اليمن فأصبحت معرضة

( ١ ) الأعقاب : أرض لبني عك بن عدنان بين مكة والساحل .

لجيش المسلمين ، وبعد أن تجاوبت أرجاء شبه الجزيرة جميعاً بنبا هذه  
الجيش وبسير النصر في ركابها !

لم يثن قيساً عن عزمه تعود ذى الكلاع وأصحابه عن نصرته ، بل  
كاتب العصابات التي كانت مع الأسود سرّاً ، والتي كانت تصعد في البلاد  
وتصوب محاربة جميع من خالفهم ، وطلب إليهم أن ينضموا إليه ليكون  
أمره وأمرهم واحداً ، وليجتمعوا على نفي الأبناء من بلاد اليمن . ولم يكن في  
ريب من إجابة هذه العصابات طلبته . أو لم تكن طلبية الأسود وعلى أساسها  
انتصر ! ! وكتبت العصابات بالاستجابة إليه وأخبروه أنهم إليه سراع . ولما كان  
ذلك كله قد حدث سرّاً فقد فجأ صنعاء خبير دنو هذه العصابات منها ،  
فاجتمع أهلها يتشاورون ماذا يصنعون .

وأسرع قيس إلى فيروز . وكأنما فجأه الخبر فأزعجه ، واستشاره واستشار  
داذويه ليخدعهما ولئلا يتهماه ، ودعاها في الغد ودعا جشنس معها إلى طعام  
الغداء . وأقبل داذويه قبل صاحبيه ، فلم يلبث حين دخل على قيس أن عاجله  
فقتله . أما فيروز فجاء بعد صاحبه فسمع الهمس بأصحابه ففر يركض . ولقيه  
جشنس في طريقه فركض معه يطلبان النجاة . وركضت خيل قيس تلاحتهما فلم  
تدركهما ، فعادت أدراجها تستنزل غضب قيس عليها . وبلغ الفارسان جبل  
خولان منزل أخوال فيروز ، لا يكادان يصدقان أنهما صارا من الهلاك  
بمنجاة .

قيس يقتل داذويه  
ويحكم صنعاء  
حكماً عربياً

وثار قيس بصنعاء فدانت واطمأن له الأمر فيها ، كما اطمأن للأسود من  
قبل ولم يدُر بخاطره أن أحداً سيقدر عليه فينزله عن عرشه . باغى أن فيروز  
يزعم أنه سيستعين أبا بكر ويهاجم قيساً بقوة من بني خولان ، فسخر وقال :  
« وما خولان ! وما فيروز ! وما قرار أووال إليه ! » . وانضم إليه عوام القبائل من  
عرب حمير وإن بقي الرؤساء في عزلتهم . وإذا أنيس في نفسه القوة عمد إلى  
الأبناء ففرقهم ثلاث فرق ؛ فأما من أقام ولم يظهر الميل إلى فيروز فأقرهم وأقر  
عيالهم . وأما من فر إلى فيروز فقسم عيالهم فرقتين ، وجه إحداهما إلى عدن

لِيُحْمَلُوا فِي الْبَحْرِ ، وَوَجْهَ الْأُخْرَى فِي الْبَرِّ إِلَى مَصْبِ الْقِرَاتِ وَأَمْرٌ بِهِمْ أَنْ يَنْفُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَلَّا يَقِيمَ بِالْيَمَنِ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

فيروز يجل قيساً  
عن صنعاء  
ويسترد إمارته  
عليها

وعرف فيروز ما أصاب بني وطنه ، فاستنهض القبائل التي بقيت على إسلامها لينصروه . وإنما فعل ذلك ليصد بعصبية الدين نعمة الوطن . وأجابه بنوعقيل بن ربيعة كما أجابته عكّ ، وساروا يستنقذون عيال الأبناء الذين قرر قيس نفيهم . وخرج فيروز على رأسهم ، فرد أبناء فارس ، والتي بقيت دون صنعاء فأجلاه عنها ، وعاد أميراً عليها من قبيل خليفة المسلمين . وخرج قيس هارباً في جنده ، وعاد إلى المكان الذي كانوا به حين مقتل العنسيّ ، فقضى بفراره على الفكرة القومية التي كانت أساس دعوته . وقد عزز أبو بكر مكاتة فيروز إذ بعث إليه طاهر بن أبي هالة في جيشه فأقام إلى جواره .

العامل الثالث :  
الخصومة القديمة  
بين الحجاز واليمن

لكن انتصار فيروز وعوده إلى الإمارة لم يوطد السلم ولم يُعد الأمن فيما وراء صنعاء من ربوع اليمن ؛ فقد بقي المرتدون بها أشد ما يكونون تحمساً لردتهم . وهنا موضع الكلام عن العامل الثالث من العوامل التي زادت الثورة في هذه الأرجاء استعارةً . فلم تنس اليمن يوماً ما كان بينها وبين الحجاز من تنافس جعل لها أغلب الأمر الكلمة العليا . ولم تقم بين اليمن والحجاز في عهد الرسول حروب تنكس نتائجها رعوس بن حمير . ولئن دوى في أنحاء اليمن نصر خالد وعكرمة على قبائل العرب وملوكهم ، لقد كان في عشائر اليمن من الأبطال والقواد من تفاخر بهم هذين البطلين الحجازيين ، ومن تهتز لسماع أسمائهم صناديد العرب فرقاً . وحسبك من هؤلاء عمرو بن معدى كرب صاحب الصمصامة . لقد كان فارس بن زبيد وحاميه ، إذا ذكر اسمه فزع الأبطال وهابوا لقاءه ؛ وكان له من بعد في وقائع الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب مواقف لا يزال التاريخ يذكرها . ولم يغير تقدم سنة يومذاك من شدة بأسه . شهد غزوة القادسية وقد جاوز حد المائة فكان له فيها بلاء أحسن البلاء .

قام عمرو بالثورة مع من تابعه ، وانضم إليه قيس بن عبد يغوث ، وتضامر الرجلان يعيثان في أنحاء البلاد فساداً ، ويجدان من أهلها عوناً ومدداً ، لم يند

منها غير نجران التي ثبتت بمن فيها من النصارى على عهد محمد ، ثم أكدت نياتها بتجديد هذا العهد مع أبي بكر .

أفيذر المسلمون اليمن وذلك شأنها يعيثر بها هذان الثائران ومن سار سيرتهم ، حتى يأكل بعضها بعضاً وتأكل الثورة أبناءها ؟ كلا ! بل سار عكرمة ابن أبي جهل من مهرة إلى اليمن حتى ورد أبيين في جيشه اللجب زاده المنضمون من مهرة عدداً وعدة . وسار المهاجر بن أبي أمية منحدرًا من المدينة إلى الجنوب ماراً بمكة والطائف ، في اللواء الذي عقده أبو بكر له ، والذي تأخر عن السير بضعة أشهر لمرضه . وقد اتبعه من مكة والطائف ونجران رجال لهم في الحرب دُرْبَةٌ وشهرة . فلما سمع أهل اليمن بمقدم هذين القائدين ، عكرمة والمهاجر ، وبأن المهاجر قتل قومًا حاولوا مقاومته ، أيقنوا أن ثورتهم مقضى عليها لا محالة ، وأنهم إن قاتلوا قتلوا وأُسروا ولم تغن عنهم المقاومة شيئاً . ولقد بلغ بهم الأمر أن اختلف قيس وعمرو بن معدى كرب وتهاجيا وأضمر كل لصاحبه الغدر ، وذلك بعد أن كانا متحالفين على لقاء المهاجر وقتاله . وأراد عمرو أن ينجو بنفسه ، فهاجم قيساً ذات ليلة وأخذه إلى المهاجر أسيراً . عند ذلك قبض المهاجر عليهما جميعاً وبعث بهما إلى أبي بكر ليرى فيهما رأيه .

مسيرة عكرمة بن أبي جهل من مهرة إلى اليمن وانحدار المهاجر بن أبي أمية من المدينة إلى اليمن كذلك

وهم أبو بكر بقتل قيس قصاصاً لداذويه وقال له : « يا قيس . أعدوت على عباد الله تقتلهم وتتخذ المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين ! » . وأنكر قيس قتل داذويه ، ولم تكن عليه بينة . أن تم هذا القتل في سر من الناس . لذلك تجافى أبو بكر عن دمه ولم يقتله . ونظر الصديق إلى عمرو بن معدى كرب وقال له : « وما تخزى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور ! لو نصرت هذا الدين لرفعك الله ! » قال عمرو : « لا جرم لأفعلن ولن أعود » . وأخلى أبو بكر سبيلهما وردهما إلى عشائرها .

أبو بكر يعفو عن قيس وعمرو بن معدى كرب

وسار المهاجر من نجران حتى نزل صنعاء ، وأمر جنده أن يتعقبوا العصابات المتمردة التي أثار الفساد في الأرض من عهد الأسود ، وأن يقتلوا من ثقفوه منهم لا يقبلون منه توبة ولا إنابة . وإنما قبل توبة من أناب من غير المتمردة . أما عكرمة فقد بقي في جنوب اليمن بعد أن استبرأ النخع وحمير . بذلك عادت

اليمن كلها آمنة مطمئنة ، ورجع أهلها إلى دين الله الحق ؛ وبذلك لم يبق من المرتدين في شبه الجزيرة كلها إلا أهل حضرموت وكِنْدَة .

وقبل أن نسير مع عكرمة والمهاجر للقاء المرتدين فيهما ندفع شبهة قد ترد  
إلى بعض النفوس حين يذكرون ما حدث باليمن . فكيف نصر أبو بكر الفرس  
على العرب فيها ؟ وكيف ناصر فيروز ومن معه على قيس ومن اتبعه ؟ ودفع  
هذه الشبهة يسير . فأنت تعلم أن الإسلام لا يرى فرقاً بين عربي وعجمي إلا  
بالتقوى . وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم . على أن ذلك لم يكن وحده  
الذي دعا أبا بكر لنصرة فيروز . بل دعاه لنصرته كذلك أن الفرس أول من  
أسلم باليمن ، والسابقة في الإسلام لها قدرها . ثم إن العرب من أهل تلك البلاد  
هم الذين قاموا بالثورة على الدين الجديد ، قام بها الأسود العنسي مدعيًا النبوة  
في عهد الرسول ، وقام بها أنصار الأسود من بعده . وفي جملتهم عمرو بن  
معدى كرب ثم قيس بن عبد يغوث . وبازان وشهر وفيروز والفرس من حولهم هم  
الذين قاموا بالدعوة للإسلام في هذه الربوع ، وهم الذين استمسكوا به وقاوموا  
خصومه ، وهم الذين أقاموا على الولاء لسلطان المدينة وخليفة رسول الله حين  
ارتدت العرب كلها وتضمرت الأرض في شبه الجزيرة ناراً . فلا عجب إذاً أن  
يؤيد أبو بكر فيروز بسلطانه ، وأن يمدّه بجنده وقواده ، وأن يقيمه أميراً على  
صنعاء ، كما أقام النبي شهراً أميراً عليها ، وكما أقام أباه بازان أميراً على اليمن  
كلها من قبله .

\*\*\*

قتال المرتدين  
في كِنْدَة  
وحضرموت

والآن فلانخط الخطوة الأخيرة في حروب الردة ، ولننتقل مع المهاجر  
وعكرمة إلى كِنْدَة وإلى حضرموت .

ونذكر تمهيداً لذلك أن رسول الله قبُض وعَمَّاله على هذه البلاد: زياد  
ابن لبيد على حضرموت ، وعكاشة بن مِحْصَن على السَّكَّاسِك والسَّكُون ،  
والمهاجر بن أبي أمية على كِنْدَة . وقد رأيت أن المهاجر كان مريضاً بالمدينة فلم  
يخرج إلى عمله بكِنْدَة ولا خرج في لوائه إلى المرتدين باليمن إلا بعد أشهر من  
وفاة الرسول . لذلك أناب عنه زياد بن لبيد في عمله منذ استعمله الرسول على  
كِنْدَة إلى أن خرج في جيشه إلى اليمن .

كيف تولى المهاجر  
ابن أبي أمية  
أمر كندة

وقصة تولية المهاجر أمر كندة طريفة ؛ فقد كان أخوا أمّ سامة زوج رسول الله أمّ المؤمنين ، وقد تخلف مع ذلك عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك . وغضب رسول الله لتخلفه وأقام زمناً عاتباً عليه . وحزّ في نفس أم سلمة أنها لم تُفْلح في استرضاء زوجها عنه . وإنها يوماً لتغسل للنبي رأسه وتحديثه ويتلطف بها إذ قالت له : كيف ينفعني شيء وأنت عاتب على أخي ! ورأت منه رقة فدعت أخواها ، فلم يزل برسول الله ينشر عذره حتى رضى عنه وأمره على كندة . وقام زياد في الإمارة مقامه حتى ذهب إليه في خلافة أبي بكر .

سياسة زياد بن  
ليد وصرامتها

وكانت كندة لمجاورتها اليمن قد استجابت لدعوة الأسود العنسي أول ما قام بها . لذلك أمر رسول الله أن توزع بعض صدقات كندة في حضرموت وبعض صدقات حضرموت في كندة . واشتد زياد في اقتضاء هذه الصدقات شدة أثارت الخواطر . ولقد استطاع أن يغلب على المتذمرين في كندة بمن ناصره من رجال السكون الذين حافظوا على إسلامهم وعلى ولائهم فلم يخرج عليه منهم أحد . فلما مات النبي وفشت الردة في العرب ، أراد زياد قمعها قبل أن يستفحل في إمارته أمرها . وشجعه على ما أراد أن التفتّ حوله القبائل التي بقيت على إسلامها ودفعوه لمقاتلة المتبردين عليه . وهاجم زياد بن عمرو بن معاوية في غفلة منهم فقتل رجالهم وسبي نساءهم ، وسار بهن وبالأموال في طريق يفضي إلى عسكر الأشعث بن قيس زعيم كندة . وكان بين أولئك النسوة ذوات مكانة في قومهن لم يعرفن قبل ذلك اليوم إلا العزة والكرامة . فلما مررن بالأشعث نادين منتحبات : « يا أشعث ، يا أشعث ! خالاتك ، خالاتك ! » ، هنالك ثار في عروق الأشعث دمه ، وأقسم لينقذهن أو يموت دونهن .

وكان الأشعث زعيماً قوياً محبوباً من قومه عظيم المكانة فيهم . وإعلك تذكر أنه ذهب عام الوفود إلى المدينة ، فلقى رسول الله بها على رأس ثمانين رجلاً من كندة قد لبسوا كلهم الحرير ، وأنه أسلم وخطب إلى أبي بكر أخته أمّ فروة ، فعقد أبو بكر الزواج ثم تأجل تنفيذه حتى يطمئن أهل العروس إلى فراقها . لا عجب وهذه مكانته أن يغضب قومه لغضبه ، وأن يخرجوا

الأشعث بن قيس  
يقاتل زياداً

مقاتلين معه . وقد خرجوا وقاتلوا زياداً واستردوا السبي وردوا لليهن عزتهن وكرامتهن .

من يومئذ أثارها الأشعث في كندة وحضرموت ضروساً شعواء ، حتى خاف زياد ، فكتب إلى المهاجر بن أبي أمية يستنصره . وكان المهاجر قد انحدر من اليمن ، كما انحدر منها عكرمة ، للقضاء على ما بقي من الردة في شبه الجزيرة ، وسار المهاجر من صنعاء ، وسار عكرمة من اليمن وعدن ، والتقيا بمأرب ، وقطعا معاً مفازة صيِّهه . وعرف المهاجر ما أصاب زياداً ، فاستخلف عكرمة على الجيش . وتعجل في كتيبة سريعة ، حتى إذا التقى بجيش زياد هاجم الأشعث فهزمه وقتل رجاله ، وفر الأشعث والناجون معه فالتجئوا إلى حصن النُجَير .

عكرمة والمهاجر  
يلتقيان بمأرب

كانت النجير مدينة منيعة ليس من اليسير أخذها عنوة . وكان لها ثلاثة سُبُل تتصل عن طريقها بما وراء الحصن . فجاء زياد فنزل على أحدها ، ونزل المهاجر على الثاني ، وظل الثالث مفتوحاً لأهل الحصن يجيء إليهم منه المدد . على أن عكرمة قدم في جيشه فنزل على ذلك الطريق فقطع عنهم الميرة ورد الرجال . ولم يكتف بهذا ، بل بعث فرقاً من الفرسان تفرقت في كندة إلى الساحل وجعلت تمنع في الناس قتلاً . ورأى المتحصنون بالنجير ما لقي قومهم ، فقال بعضهم لبعض : « الموت خير مما أنتم فيه . جزوا نواصيكم حتى كأنكم قوم قد وهبتم لله أنفسكم فأنعم عليكم فبؤم بنعمته ، لعاه أن ينصركم على هؤلاء الظلمة » . وجز القوم نواصيهم وتواثقوا ألا يفر بعضهم عن بعض . وخرجوا حين تنفس الصبح فاقتتلوا في الطرق الثلاثة المؤدية إلى الحصن مستميتين . وما تجدى الاستماتة وجيوش المهاجر وعكرمة لا تُغلب عدداً وبأساً ! وأيقن أهل النجير حين رأوا المدد لا يتقطع عن المسلمين أن القضاء نازل بهم لا محالة ، فتولاهم اليأس فخشعت نفوسهم وخافوا الموت . وخاف الرؤساء على أنفسهم فهانت عليهم نخوتهم ، فخرج الأشعث إلى عكرمة ليستأمن له المهاجر على نفسه وعلى تسعة معه على أن يفتح للمسلمين الحصن ويُخلى بينهم وبين من فيه . وأجابه المهاجر إلى ما طلب على أن يكتب كتاباً تكون فيه أسماء التسعة الذين يطلب

خيانة الأشعث  
ابن قيس

أمانتهم . وكتب الأشعث أسماء أخيه وبنى عمه وأهلهم ، ونسى أن يكتب اسمه معهم ، ثم جاء بالكتاب فحتمه وتسلمه المهاجر . وسرب الأشعث التسعة من الحصن وفتح أبوابه للمسلمين ، فاقتحموه فلم يدعوا فيه مقاتلا إلا ضربوا عنقه . وسبى المسلمون النساء ممن في النجير . فكانت عدتهن ألف امرأة . ووضع المهاجر الحرس على الأسرى وعلى الأموال حتى يُحصيهم ويبعث بالخمسة إلى المدينة .

يا عجباً للحياة وتصاريقها ! فهذا الأشعث الذي ارتكب هذه الحياة النكراء ، والذي أسلم قومه للقتل وأسلم ألف امرأة للسبي . هو هو الأشعث الذي لم يطق أن يسمع نداء خالاته نساء بني ر و بن معاوية : « يا أشعث ، يا أشعث ! خالاتك . خالاتك ! » فخف للثأر لهن وأنقذهن من أسر زياد . والأشعث الذي ذهب إلى النبي فيما عرفت من كرامة فأكرمه المسلمون ، هو هو الأشعث الذي تدلى إلى هذا الحضيض فلعنه المسلمون ولعنه سبايا قومه وسمينه : « عُرِف النار » ، وهي كلمة معناها في لغة اليمن : الغادر . لكنه التعلق بالحياة والخوف من الموت إذا ركبا نفساً أذلاها فهانت فسقطت فيما هو شر من الموت .

ودعا المهاجر النفر الذين ذكرهم الأشعث في كتابه فأطلق سراحهم . ولما لم يكن اسم الأشعث في الكتاب الذي حتمه أمر به فشد وثاقه وهمّ بقتله وقال له : « الحمد لله الذي خطأ فاك يا أشعث ! لقد كنت أشتهى أن يخزئك الله ! » على أن عكرمة بن أبي جهل تدخل في الأمر وقال : « أخره وأبائنه أبا بكر فهو أعلم بالحكم في هذا . وإن كان رجلاً نسي اسمه أن يكتبه وهو ولي المخاطبة أفذاك يبطل ذلك ! » وأخره المهاجر لا عن رضا ، وبعث به إلى أبي بكر مع السبي ، فجعلوا يلغونونه ويلعنه المسلمون طول الطريق .

وتحدث أبو بكر إلى الأشعث فأنبه على ما صنع ، وسأله : « ما تُراني صانعاً بك ؟ » وأجاب الأشعث : « إنه لا علم لي برأيك وأنت أعلم به » . قال أبو بكر : « فإني أرى قتلك » . قال الأشعث : « فإني أنا الذي راوضت القوم فما يحل دمي » . وخشى الأشعث حين طال الحوار بينه وبين أبي بكر أن

أبو بكر يفو  
عن الأشعث

يُقتل فقال : « أو تحتسب فيّ خيراً فتطلق أسارى وتقبل إسلامي وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي وترد عليّ زوجتي ؟ » وزوجته التي يتحدث عنها هي أم فروة أخت الصديق . وتردد أبو بكر هنيهة في الإجابة ، فأردف الأشعث : « افعل تجد فيّ خير أهل بلادى لدين الله » . وبعد أن فكر أبو بكر في الأمر غفر له وقبل منه ورد عليه أهله وقال : « انطلق فإيماغني عنك خير » وأقام الأشعث مع أم فروة بالمدينة لم يبرحها إلا في عهد عمر افتتح العراق والشام ، ثم كان له في حروب ذلك الفتوح من البلاء ما أعاد إليه اعتباره في أعين الناس .

القضاء على الثورة  
في بلاد العرب

وأقام المهاجر وعكرمة بحضرموت وكيندة حتى اطمأنت الأمور واستقر الأمن ؛ فكان ذلك آخر حروب الردة ، وكان القضاء على الثورة في بلاد العرب ، ثم كان التوطيد لوحدتها السياسية ، وحادثة استمرت بعد ذلك زمناً ثم سابقتها الشوائب . ولم يكن عمل المهاجر في القضاء على أسباب التمرد في هذه الأرجاء بأقل شدة منه في اليمن ؛ فقد قطع دابر المتمردين ، وأنزل أشد العقاب بالثائرين . ويكفيك مثلاً يدل على أمثاله أن مغنيتين تغنت إحداهما بشم رسول الله ، وتغنت الأخرى بهجاء المسلمين ، فقطع المهاجر يديهما ونزع ثناياهما . وقد كتب إليه أبو بكر يكشف له عن خطئه فيما صنع ، ويذكر أنه كان الأولى به أن يقتل الأولى لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود ، وأن يصفح عن الثانية إن كانت ذميمة . « فلعمري لمّا صفحت عنه من الشرك أعظم . فاقبل الدعة . وإياك والمثلة في الناس فإنها مأثم ومنفّرة إلا في قصاص » . وقس على ما صنع المهاجر بالمغنيتين ما صنع بالتمردين والمرتدين .

المهاجر بن أبي  
أمية يتولى أمر  
اليمن

وبعث أبو بكر إلى المهاجر يخيره بين إمارة حضرموت وإمارة اليمن ، فاختر اليمن وذهب إلى صنعاء فأقام بها مع فيروز ، وبقي زياد بن لميد عليّ حضرموت .

أما عكرمة فقد أعدّته للعود إلى المدينة . لكنه لم يرجع إليها كما خرج منها ، بل عاد وقد تزوج ابنة النعمان بن الجون ، لم يصده عن ذلك ما كان من تعنيف أبي بكر لخالد بن الوليد حين تزوج أم تميم وحين تزوج ابنة مجاعة

فخالف بذلك تقاليد العرب . على أن زواج عكرمة بهذه الفتاة قد أثار مشكلة من نوع آخر أدت إلى تدمير الجند وإلى عرض الأمر على أبي بكر ليفصل فيه برأيه .

فقد تزوج عكرمة بابنة النعمان هذه وهو بعَدَن ثم حملها معه إلى مأرب . واختلف الجند في أمرها ، يقول بعضهم : دعها فإنها ليست بأهل أن يرغب فيها ، ويقول آخرون : لا تدعها . ورويت القصة للمهاجر فكتب إلى أبي بكر يسأله فيها . ورأى أبو بكر أن لا حرج على عكرمة فيما صنع ؛ فقد كان النعمان بن الجون جاء إلى رسول الله وطمع في أن يزوجه ابنته هذه فزينها له ثم جاء بها ، وزاد في زينتها أنها لم تشك وجعاً قط ؛ ورغب رسول الله عنها وعاد بها أبوها إلى عدن . لذلك ظن جماعة من الجند أن عكرمة يحمل به أن يرغب عنها كما يرغب عنها رسول الله ، ليكون له فيه صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة . أما أبو بكر فلم يرض هذا الرأي . ولم ير في زواج عكرمة منها بأساً . واستقر عكرمة مع زوجه هذه بالمدينة ، كما اجتمع بها الجند الذين فصلوا عنها أول حروب الردة .

قصة عكرمة  
وزواجه ابنة  
النعمان بن الجون

وأجال أبو بكر نظره في شبه الجزيرة كلها حوله ، وتذكر يوم بيعته ، ففاضت بالدمع عينه شكراً لأنعم ربه أن آتاه النصر وعزز بعزمه وحزمه دين الحق . وأين المدينة يوم ذلك ، المدينة الظافرة المنتصرة صاحبة السلطان على ربوع العرب كلها ، من تلك المدينة التي انتفض عليها العرب وثاروا بها وحاولوا محاصرتها إثر وفاة الرسول !! وما كان لأبي بكر مع ذلك أن يفخر أو يستكبر وهو يذكر قول الله لرسوله : « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » .

ما عسى أن يكون الغد ؟ وكيف تزداد وحدة الدين قوة ويزداد دين الله علواً وانتشاراً ؟ إلى هذه الناحية اتجهت سياسة أبي بكر ، وفي هذا كان يفكر منذ اطمأن إلى النصر . وقد طال تفكيره فيه حين كان قواده وجنوده لا يزالون في الجنب يقضون على البقية الباقية من الردة وآثارها . وإذا أراد الله أن يتم أمره فقد كانت الإمبراطورية الإسلامية ثمرة هذا التفكير وهذا الاتجاه .

ما عسى أن يكون  
الغد